

كتاب: الأساس فك العلاج الجمعي (42) -دروس من مجموعة المواجهة (4):

(4) Encounter Group

مقتطفات من "جماعة المواجهة" (4)

"موت" الكلام و"إحيائه": فك "العلاج الجمعي" (2 من 2)

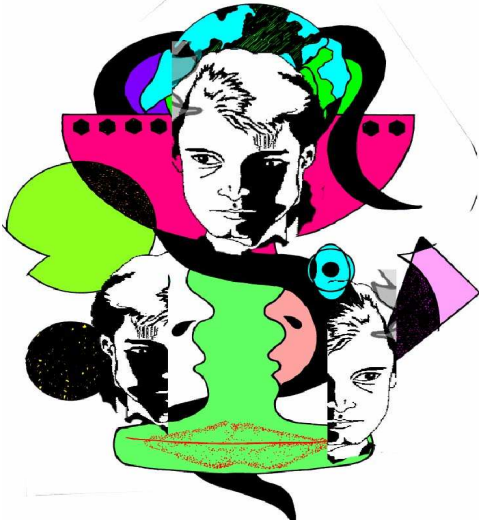
<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD01713.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2013/07/01

السنة السادسة - العدد: 2131



في العلاج الجمعي يتم التواصل على أكثر من مستوى، عبر أكثر من قناة وحتى الكلام الذي أشرنا أمس إلى احتمال أنه أصبح - في صورته العادية المغتربة غالبا - أضعف من أن يقوم بوظيفته - هذا الكلام هو هو إذا واكب قنوات التواصل الأخرى فإنه تدب فيه حياة أخرى، ومع التركيز المتواصل على "هنا والآن" تصبح رويدا رويدا كل كلمة مسؤولة عن ما خرجت لتأديته، حتى تكاد تختفي حروف العلة.

قنوات أخرى للتواصل:

ولكن من حق أي شخص أن يتساءل أنه إن لم

يكن الكلام هو الوسيلة (القناة) الأمثل للتواصل بين البشر، في العلاج وغير العلاج، فما هي الوسائل والقنوات الأخرى؟

لا، ليست لغة الإشارة هي البديل كما أسلفنا، فهي ليست إلا رموز حركية، في العلاج الجمعي نركز على لغة العيون دون قصد معين، الأمر الذي جعلني أغير عنوان الفصل الثاني في "فقه العلاقات البشرية" إلى "قراءة في عيون بشرية" بديلا عن الاسم الذي استعمل من قبل (وهو "العبة السكات")، وقد عنيت بهذا التعديل أن أشير إلى أنني أقدم لغة أخرى ربما أكثر ثراء وعمقا وصدقا من الكلام اللساني بالألفاظ.

العيون البشرية في هذا السياق لم تكن عيون مرضى بوجه خاص، ولم تكن أيضا عيون أشخاص محددين في عالم الواقع الملموس، أنا لم أقرأ عيون المشاركين تحديدا، بل استلهمت من صدق ما وصلني منها ما أكملت به قصائدي دون أن أعنى شخصا بذاته.

لم يقدم لنا فرويد وسيلة للتواصل العلاجي أفضل من الكلام، أو بصراحة غير الكلام، حتى حدسه التفسيري، وشرحه التأويلي كان يستمد من الكلمات، بل إن وضع التداعي الحر والمريض مستقل على أريكة العلاج و المحلل يجلس خلفه بعيدا عن التقاء نظراته، كان نفيًا عمليا لأي احتمال لاستعمال أية وسيلة أخرى غير الكلام، وبالذات لغة العيون، الوضع شديد الدلالة من حيث أنه وضع تجنب التقاء النظرات، حتى وصف "بيرلز" (أحد رواد العلاج الجمعي) فرويد، ربما مازحا، بأنه كان مصابا بعرض تجنب التحديق **Gaze Avoidance** وبالتالي كان يخشى أن تلتقي نظراته بنظرات المريض، ومن ثم أصر - وأوصى - أن يجلس المحلل خلف المريض أثناء التداعي الحر.

لغة الاخرق بالنظر (البخلة الكاشفة [1]) في عمقها وثباتها هي لغة خطيرة ومهددة ورائعة، وقد

فك العلاج الجمعي يتم التواصل على أكثر من مستوى، عبر أكثر من قناة وحتى الكلام الذي أشرنا أمس إلى احتمال أنه أصبح - في صورته العادية المغتربة غالبا - أضعف من أن يقوم بوظيفته

لم يقدم لنا فرويد وسيلة للتواصل العلاجي أفضل من الكلام، أو بصراحة غير الكلام، حتى حدسه التفسيري، وشرحه التأويلي كان يستمد من الكلمات، بل إن وضع التداعي الحر والمريض مستقل على أريكة

استعملتها مؤخرا (منذ سنوات) أثناء الفحص الإكلينيكي التعليمي في الكشف عن كثير من طبقات النفس التي لم تكن في متناول الكلمات:

الحزن مثلا حين تصفه الكلمات بالاكنتاب أو "الدُّبْرُشَن"، أو حتى "الهم" أو "الزهقان" أو "الغم"، ليس هو الحزن الذي اكتشفته من خلال خبرتي في هذا الصدد. حين أسأل المريض عن حزنه الخاص جدا، الدفين فعلا، أو عن حقه في الحزن، أو عن متى سمح لنفسه بالحزن، أشرت عليه ألا يسارع بلصقه بسبب معين، وألا يتحدث عنه بالألفاظ، أسأله كل ذلك وعيني تُوَكِّبُ ألفاظي، محاولا مشاركته بالنظر، رافضا - لى وله - أن ننطق حرفا، ولمدة دقائق قد تطول أحيانا (نادرة) إلى أكثر من نصف ساعة صامتتين تماما، من خلال هذا التواصل في الـ "هنا والآن" تتكشف الطبقات التي نتعارف من خلالها على نوع آخر من التواصل، ثم لعل وعسى....

أصعب من ذلك تكون الخبرة والمشاركة حين نقرب من إشكالية "الألم"، أعني الحق في الألم النفسي "معا"، وعن الحرمان من الحق في الألم، ثم نصمت وندع عيوننا نتكلم، وهكذا.

إطالة النظر بجديّة سلسِلة تعمق النظر تلقائيا، وهي تكشف دون استئذان عادة، وهذا ما يحدث غالبا في العلاج الجمعي من خلال التنبيه على الجزء الأول من القاعدة الأساسية أعني "أنا - أنت" (وتكلمتها: "هنا والآن").

في البلاد المتحضرة، على ما أسمع، تعتبر "البهلقة" نوعا من الوقاحة، فلا يجوز لك أن تطيل النظر في راكب أو راكبة في حافلة عامة (أتوبيس)، هذا بالنسبة للنظر إليها عشوائيا بأية صورة، فما بالك لو كان النظر في غور العينين مباشرة، أعتقد أنك (هناك) سوف تحول نظرك فورا، أو تتفقان على موعد دون كلمات، أو تلعنك في سرها، أو جهرا.

تعالوا نكتفي اليوم بالانصات إلى الشعر ثم نرى:

نبدأ باستعادة كيف أن الصمت في العلاج الجمعي يساعدنا على الالتفات إلى قنوات التواصل الأخرى، خاصة بعد أن نعلن بشجاعة موت الكلام إذا تمادى في الاعتراب، فينلقنا الصمت إلى احتمال إحياء الكلام هكذا:

يالاً نلعب يا جماعة: لعبة "هس".

فَتَّحْ عَيْنَكَ بَصْ،

إِنْ كُنْتَ شَاطِرٌ حَسْ.

"أنا مين؟!!"

ما تقولش.

مجنون؟

ما تخافش.

جرب تاني، ما لأول:

... راح تتعلم تقرا وتكتب من غير ألفاظ:

مش بس عنيك،

تدويرة وشكك

وسلام بققك على خدك،

والهزه ف دقتك،

وكلام اللون:

اللون الباهت المييت،

العلاج و المحلل يجلس
خافه بهيدا عن التقاء
نظراته، كان نفيًا عمليا
لأحد احتمال لاستعمال
أية وسيلة أخرى غير
الكلام، وبالذات لغة
العيون

لغة الاختراق بالنظر
(البهلقة الكاشفة[1])
فك عمقها وثباتها هك
لغة خطيرة ومهددة
ورائجة

الحزن مثلا حين تصفه
الكلمات بالاكنتاب أو
"الدُّبْرُشَن"، أو حتى
"الهم" أو "الزهقان" أو
"الغم"، ليس هو الحزن
الذي اكتشفته من خلال
خبرتك

إطالة النظر بجديّة
سلسِلة تعمق النظر
تلقائيا، وهكذا تكشف

دون استئذان عادة

الصمت فك العلاج
الجمعد يساعدنا على
الالتفات إلى قنوات
التواصل الأخرى، خاصة
بعد أن نعلن بشجاعة
موت الكلام إذا
تمادد فك الاغتراب،
فيناقلنا الصمت إلى
احتمال إحياء الكلام

واللون الأرضي الكَلْحَان،
واللون اللى يطق شرار،
واللون اللى مالوش لون،
وعروق الوش،
والرقبة،
وخطوط القورة،
وطريقة بلعك ريقك
تشويحة إيدك...
إلى آخره.
لما حانسكت حانس،
أو نعلن موتنا.
وخلص!
...
أو يمكن لما نحس،
نقدر نبتدى مالأول؟

ومع طول التواصل بكل القنوات الممكنة يعود للكلام نبضه، ويحتوى معناه وكأنه أحيى من جديد:

اللفظ قام من رقدته.
ربك كريم ينفخ فى صورته ومعنته.
يرجع يغنى الطير على فروع الشجر.
ويقول "يارب"،
وتجيله رد الدعوة من قلبه الرطب.

.....

ألفاظ بتهز الكون،
وبتضرب فى المليون،
وتغير طعم الضحكة،
وتشع النور ما الضلمة،
وبتفضح كذب الساكات،
وبتفقس كل جبان.

[1] - لم أجد مقابلا بالفصحى لكلمة "البلقة" حتى كلمة التحديق لم توصل لى ما أريد.

*** **

مع طول التواصل بكل
القنوات الممكنة يعود
للكلام نبضه، ويحتوى
معناه وكأنه أحيى من
جديد

3ARABPSYNET PRIZE 201

جائزة يحيى الخاوي لشبكة العلوم النفسية العربية 2013

مخصصة هذا العام للطب النفسي

pdf.www.arabpsynet.com/Prize2013/APNprize2013